الأحد: 2024/11/10
الفوج 1 التوقيت: 16:30 – 18:00
الفوج 2 التوقيت: 14:50 – 16:20
الفوج 6 التوقيت: 13:10 – 14:40
الاثنين: 2024/11/11
الفوج 3 التوقيت: 13:10 – 14:40
الفوج 4 التوقيت: 14:50 – 16:20

الدرس رقم08:

مناهج المستشرقين

سلك المستشرقون في دراستهم للدين الإسلامي مناهج متعددة وفيما يأتي بيان لأهمها وهي ما طبقوه في أبحاثهم ودراساتهم: نقلا عن: **الدكتور: ثائر الحلاق**

1. منهج المطابقة والمقابلة:

استخدم بعض المستشرقين هذا المنهج في تحقيق النصوص التراثية ونشرها، وقد برعوا في ذلك وأجادوا إجادة لا ينكرها منصف، فكتب كثيرة لم تر النور إلا على أيديهم، وقد ساعدهم على ذلك تضلعهم بعدة لغات وإتقانها، وكذا اطلاعهم على آلاف النسخ المخطوطة، وارتحالهم للوقوف عليها ولا ينبغي أن يقصر اللسان على مدحهم في هذا الجانب؛ فقد عملوا على حفظها وصيانتها من التلف بعناية فائقة، وفهرستها فهرسة نافعة تصف المخطوط وصفاً دقيقاً، وبذلك وضع تحت تصرف الباحثين بلا إجراءات معقدة، وقدر عددها في جامعاتهم . وكلها مفهرسة . مئات الآلاف، كما يحمد لهم صبرهم الدؤوب على البحث والتقصي، لكن هذه الطريقة لم تسلم من الخطأ، لأن بعضهم حاول تطويع تلك النصوص؛ لكي تخدم قضية آمن بها وسعى لتقريرها.

2 . منهج الأثر والتأثير:

ويعني هذا المنهج النزع إلى رد كل عناصر الدين الإسلامي بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية أو إليهما معاً، أو إلى غيرهما من الحضارات والأديان وقد كان المستشرقون اليهود – أمثال جولد تسيهر وشاخت وجايجر وبرنارد لويس – أشدُّ حرصاً على ادِّعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه، أما المستشرقون المسيحيون يزعموا تأثُّر الإسلام ظهر في مبادئ أخلاقية زعموا أنها أثرت في الإسلام، ودخلت عليه، وهذا الادعاء مبني على عناصر التشابه بين الإسلام واليهودية والنصرانية وغالبهم يحاولون إثباته بطرق مختلفة منها تلقي النبي "ص" عن اليهود والنصارى، وهذا العدد الكبير من المستشرقين لم يلتفت إلى الإسلام على أنه دين مستقل ذو منظومة شاملة ومتناسقة، وهذا الادعاء بالنزعة التأثيرية يشكل خطورة كبيرة على وحدة الفكر الإسلامي وأصالته لأنها تقضي على الفكر الإسلامي قضاء مبرماً، ونرى هذه النزعة ظاهرة في كتابات عدد كبير من المستشرقين فكلما وجدوا تشابه أو اتفاق بين الإسلام واليهودية والنصرانية إلا وربطوه بالحضارة اليونانية حتى وإن كان هذا التشابه من نسج عقولهم ولا أصل له في الواقع وفي هذا يقول جولد تسيهر: (تبشير

النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً).

ويظهر كذلك اتهامه النبي "ص" بالكذب في ادعاء النبوة وأنها فكرة استمدها مما سمع عن الديانات السابقة فكتب في الدائرة في مادة جبرائيل: (ولجبريل شأن هام في القرآن وقد اصطنع النبي القصة التي تقول بأن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الانبياء وأعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه).

وهذا التأكيد والاصرار على إثبات تأثر الإسلام بالديانات السابقة قد يرجع مع الرغبة في تشويه الإسلام إلى (كون هذا المنهج قد طبق بصورة صارمة في بيئتهم ذلك أن النهضة الأدبية الأوربية قد تأسست بناء على الحضارة اليونانية وما أنشئ مذهب فكري وديني جديد إلا ووجد له نظير في الحضارة اليونانية القديمة ومن خلال هذا الحكم تم تطبيق هذا المنهج على الفكر الإسلامي دون أدنى اكتراث بخصوصية الفكر الإسلامي ذي الأصول والأسس الواضحة المؤسسة على معايير دينية وبيئية أصيلة مستمدة من القرآن والسنة النبوية). وهذا الإصرار منهم على إثبات التأثر وكأنَّ الله لم يرسل أنبياء قبله يؤمنون بهم حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ونصارى يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأناً من محمد ص في التاريخ والتأثير والمبادئ التي نادى بها، كان إنكارهم لنبوَّة النبي "ص" تَعَنُّتاً مبعثه التعصُّبُ الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرُهبان وقساوسة ومُبَشِّرين.

3 . المنهج الإسقاطي:

ويعني تفسير التاريخ بإسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم، وهم بذلك يحاولون إثبات الصور المرسومة في أذهانهم حتى وإن استحال وقوعها وينفون الحقائق الواقعة التي لا تتصورها أذهانهم "فمثلاً واقع الغربيين يدل على تنازعهم على السلطة وإن كان الأمر يبدو في الحاضر انتخابات وحرية اختيار فجاء المستشرقون إلى بيعة الصديق رضي الله عنه فصوروها على أنها اغتصاب للسلطة أو تآمر بين ثلاثة من كبار الصحابة هم والله أنقى البشر بعد الأنبياء والرسل وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين فزعموا أن هؤلاء الثلاثة تآمروا على أن يتولوا الخلافة الواحد تلو الآخر. وسموا المنافقين بالمعارضة وغير ذلك من الإسقاطات التي تدل على الخبث وبعد عن المنهج العلمي، (كما قاموا بذات التفسير لهجرة المسلمين للحبشة بنفس الطريقة فجعلوا دافعها رغبة المسلمين في مساعدة عسكرية وتحويل الحبشة إلى قاعد لمهاجمة تجارة مكة ومحاولة لإيجاد طريق جديد لتجارة الجنوب لا يمر بمكة ووجود خلافات حادة في الرأي داخل صفوف المسلمين ويُبني عليه أن هذه الهجرة لم تكن بأمر النبي "ص" دون النظر لكل الأسباب والدوافع الوجيهة والحقائق التاريخية وذلك بهدف الوصول إلى النتيجة التي يريدونها وهي أن النبي "ص" لم ينجح في بداية دعوته مع أصحابه)، ومن إسقاطهم الرؤية العقلية الغربية المعاصرة على سيرة النبي "ص" ما زعمه

مونتقمري وات أن مكوث النبي في غار حراء يمكن أن يكون فراراً من حر مكة خلال فصل الصيف، مسقطاً خيالاته وأوهامه المبنية على واقعه المعاش ليبرر الحادثة مبعداً لها عن ما ذكر في كتب السنة عن بدايات نبوته.

ومن صور الاسقاط عند المستشرقين القول بالانشطارية: وتعني الفصل بين القيم المتكاملة في الفكر الاسلامي والقول بعجزها عن التفاعل والترابط، فهم يحاولون زعزعته وإسقاط روح الانشطارية السائدة في الفكر الغربي والمنطلقة من الفصل بين الدين والدنيا على الواقع الإسلامي وتطبيقها عليه، ولعل أبرز صورها التي يحاولون زرعها في المجتمع المسلم هو الدعوة إلى الانفصال بين الحاضر والماضي والذي يعتبر من خصائص المجتمع الغربي وطريقهم إلى ذلك رمي التراث الإسلامي بالنقائص والمهانة ومحاولة تشويه صورته في أذهان أبناءه.

4. المنهج الانتقائي:

يتم من خلال هذا المنهج اعتماد رأي أو فكرة أياً كان مصدرها؛ ولو كانت من ناحية أخرى شاذة وضعيفة، بشرط أن تخدم وجهة نظر المستشرق ومبدأه الذي يسعى لتقريره، أو بعبارة أخرى: لا يلتفتون إلا إلى الصورة التي تتفق مع موقفهم غير الموضوعي من الإسلام، يقول (مكسم رودنسون) ناقداً الباحثين الغربيين: "ينتقون ما يرونه بعناية، ويتجاهلون كل ما لا ينسجم مع الصورة التي كوَّنوها"؛ فقد أخذوا بالخبر الضعيف الشاذ في بعض الأحيان وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ الغريب فقدموه على المعروف المشهور، وعولوا على الشاذ ولو كان متأخراً، تعمدوا ذلك لأن هذا الشاذ هو الذي يحقق هدفهم في إثارة الشك، ومثاله ما قاله (ول ديورانت) عن هارون الرشيد مبيناً صلته الوثيقة بالبرامكة: "وكان هارون يحب جعفراً حباً أطلق ألسنة السوء في علاقتهما الشخصية، ويقال: إن الخليفة أمر بأن تصنع له جبة ذات طوقين يلبسها هو وجعفر معاً، فيبدوان كأنهما رأسان فوق جسم واحد، ولعلهما كانا في هذا الثوب يمثلان حياة بغداد الليلية"، فـ"ديورانت" الذي شكك في صحة روايات ثابتة . كواقعة سُم النبي أتى بهذا الخبر الذي لا يعرف له أصل، واتخذ منه مناسبة كي يطعن في خليفة المسلمين، وبعاصمتهم بغداد التي كانت آنذاك حاضرة الثقافة وقبلة العلماء، ونتيجة لإلمام بعض المستشرقين بعدد وافر من اللغات الحية والقديمة، فقد عولوا كثيراً على المنهج الفيلولوجي الذي يركز على الناحية اللغوية في دراسة الوقائع التاريخية.

فقد انصرفت الدراسات الاستشراقية انصرافاً تاماً عن نهضة الشعوب الشرقية والإسلامية في العصر الحاضر، وركزت جهودها على تاريخها القديم، ولا سيما الفتن، والحروب الأهلية، والفرق الدينية الهامشية، **أما الصفحات** المشرقة فطووها، أو تعرضوا لها بوجيز القول وعلى استحياء كبير، وكلما اضطرتهم الظروف إلى سرد شيء من أمجاد الإسلام، اخترعوا له تفسيراً يغطون به روعته وعظمته.

5. المنهج التاريخي:

وهو عبارة عن ترتيب وقائع تاريخية أو اجتماعية وتبويبها وترتيبها ثم الإخبار عنها والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها وقد خلطوه بالمنهج الذاتي، فجاءت دراستهم ذاتية أكثر منها تاريخية، والمنهج التاريخي قد يكون عاماً يشمل دراسة كل الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية للمجتمع وقد يكون خاصاً بجزء معين مقتصراً عليه، والمستشرقون حين طبقوا هذا المنهج على الحضارة الإسلامية فإنهم صنفوا التاريخ الإسلامي ومفكريه على نمط العقلية الغربية فهم حين يتحدثون عن مفكري الإسلام كابن رشد والغزالي فإنهم يصنفونهم بأنهم أصحاب مدارس كالغربيين وهذا غير صحيح بل بعيد كل البعد عن التاريخ الإسلامي، ونتائج تطبيق هذا المنهج ليست صحيحة غالباً كما أنه يؤدي إلى إنكار نبوة محمد ص وعدم صدقية الوحي حيث يفسر كل شيء على أنه ظاهرة تاريخية ذات أصول مادية وهو بذلك يقوم على فكرة مسبقة وتمييز حضاري وتعصب ديني.

6 . منهج البناء والهدم:

في مرحلة البناء: يقوم المستشرق بالإطراء على الظاهرة التي يدرسها، أو على جوانب ثانوية منها، ثم يأتي دور الهدم، حيث يجرد تلك الظاهرة من أهم مقوماتها وأركانها على نحو يؤدي إلى سقوطها أو يكاد، فالمفكر الفرنسي غوستاف لوبون سطَّر في كتابه (حضارة العرب) أفكاراً صحيحة ومعتدلة عن الإسلام، وأشاد كثيراً بكتابه ونبيه ثم ما لبث . بعد جملة وافرة من الثناء . أن رمى النبي "ص" بالصرع والهوس، ثم يجعل القرآن من شواهد عبقريته، وينكر شموليته وأنه مؤقت بعصره، فلا يحقق حاجات الفرد في عصور لا حقة، بل يجعله سبب تخلف المسلمين. فهو يريد أن يهدم فكرة عالمية الإسلام، أما بلاشير . وفق هذا المنهج . فقد قبل بالمعطيات القرآنية وركز عليها، ولكنه من جانب آخر رفض تأريخية السيرة.

وفي خاتمة ما تم تقديمه يمكن رصد النتائج الآتية:

إن من السمات الشائعة للفكر الاستشراقي أن كثيراً منهم مالوا لدراسة الإسلام على أنه إفراز لحضارات أخرى، وقد أدى ذلك لتجريده من أية سمة إبداعية أصيلة، ومن جانب آخر حكموا على الإسلام اعتماداً على قيمهم ومقاييسهم الخاصة، بدلاً من اعتمادهم على المصادر التاريخية الصحيحة. وحتى يفهم الإسلام فهماً صحيحاً لا بد من احترام المصدر الغيبي(الوحي) لرسالة النبي، ومن ثم اعتماد موقف موضوعي يبتعد عن الأحكام المسبقة؛ ويتجاوز كل الإسقاطات التي تعرقل عملية الفهم، وضرورة الإحاطة بأدوات البحث العلمي، إلا أنهم لم يحترموا المصدر الغيبي ولم يعتمدوا موقفاً موضوعياً، فالمستشرق إما أن يكون علمانياً مادياً لا يؤمن بالغيب، أو يهودياً نصرانياً لا يؤمن بصدق رسالة محمد التي أعقبت ديانته، فهو بالتالي لا يبحث من أجل وصول إلى حق ينشده، وإنما للبحث عن مسوغ لشيء آمن به من قبل.

وعليه: إن الدراسات الاستشراقية مهما كانت موضوعية في محتواها، فإنها لا تخلو من هنات وأخطاء علمية ولغوية سببها الجهل باللغة العربية، ومن هنا ينبغي عدم التسليم بالنتائج النهائية لتلك الدراسات، خاصة وأن تحامل المستشرقين على الإسلام غريزة موروثة، تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية، بكل ما لها من ذيول في عقول الأوربيين. وهكذا لم يتمكن الاستشراق من تطوير مناهجه، وبقي عاجزاً . حتى اليوم . عن تحرير نفسه من الخلفية الدينية التي شكلته، فلا تزال صورة الإسلام في الغرب حتى اليوم تتسم بالعنف والشهوات والمخادعة.